

العودة

كان شهر يوليو وكان فصل الذهاب ، فاخذت القطورات الحديدية والبواخر البحرية تُقلُّ الناس أفواجا إلى مصايف مختلفة ألطف هواء وأعدل مناخا . فسكنت الحركة في العاصمة ، وهذا دولاب الاشغال ، وأقفلت المعاهد العلمية

وجاء الآن شهر أكتوبر ، وهو فصل العودة والاياب ، فعاد التاجر إلى متجره ، والمحرر إلى قلمه ، والموظف إلى ديوانه ، والمحامي إلى مكتبه ، والطبيب إلى عيادته ، والتلميذ إلى درسه بعد ان جمعوا في عطلة الصيف ذخرا من القوة والنشاط لمواصلة العمل في مراحل هذه الحياة

وقد عادت « الزهور » إلى قرائها وعاد قراؤها إليها ، والشوق ملء جوانح الفريقين ، بعد فراق شهرين . فهي ترحب اليوم بالجميع وتسأل للجميع كل صفاء وهناء

نهنيء الجميع بسلامة العودة ، ويلتذ لنا اليوم ان نخصك بالتهنئة ، ايها

التلميذ العزيز العائد الى رياض المدرسة لتجني من زهر الآداب والعلوم
عسلاً شهياً لك ولأهلك وبلادك . نخصك بالتهاني ، وجميع القراء
يشاركوننا في ذلك ، لان فيهم أباك وامك ، وأخاك واختك

منذ شهرين ونيف جرت الامتحانات في المدارس ، واقامت معاهد
العلم الحفلات الشائقة لمكافأة ذوي الجد والاجتهاد . فنشرت اسماؤهم
علناً ، ولم تثن الصحف اليومية بإفساح محل واسع بين اخبارها للثناء على
المبرزين من الطلبة واطراء ذكاء من حاز قصب السبق منهم في ميدان
الدرس . فكم كان يخالج صدرك حينذاك من عواطف الفرح والحبور
لقيامك بالمقترض عليك إن كنت من الفائزين . أو كم كان يتلاعب في
رأسك من افكار التأسف والندم على ما فات من فرض أهملته او درس
تهأوت فيه او واجب تأخرت عن القيام به إن كنت من الخاسرين .
من يصف لنا ما دار في خلدك عند أوبتك الى أهلك ظافراً غائماً
او خاسراً صفر اليدين ؟ اواي قلم يصور لنا ما كان في تقبيلك لأهلك
وتقبيل اهلك لك من العواطف والمعاني ؟

بهذه القبلة قلت لهم انك فهمت ما يتكبدونه من الضحايا في سبيلك
وسبيل تهذيبك اذا كنت قد عدت اليهم ويداك مثقلتان بشهادات
جدك ، واكليل النار والظفر يعلو جبينك الوضاح المتلألئ بنور النبطة
والأمل . وكم كان اذ ذاك بقبلتهم لك من الفخر والابتهاج ، لانك
شرفت اسمهم الذي ستعرف به في المجتمع الانساني ، فأنسيتم عرق
الجبين وكدة اليمين والنفقات الباهظة

بهذه القبة عبرت لهم عن شديد اسفك على ما فات وعزمك
الأكيد على الدرس والاجتهاد اذا كنت قد رجعت اليهم ولم تفلح وكم
كان بقبلتهم لك من اللوم والتأنيب على خمولاك وانت لم تكسب شيئاً
في الجهاد الأول من هذه الحياة

كل هذه الافكار والعواطف خالجت صدرك وصدر ذويك ،
فشعرت بفرح او حزن ، وشعروا بذلك الفرح او هذا الحزن . فعزمت
على مواصلة السير في خطتك الحميدة كما في الماضي ، او على التعويض
بالدرس والتكفير بالجد عن ذلك الماضي

مضى الآن أكثر من شهرين على تولد هذه العواطف في صدرك .
وقد قضيت هذا الرشح من الزمن بين القمم الخضرة والمناظر النضرة ،
اذا كان اهلك من ذوي اليسار ، فتنقلت بين ربي لبنان او سويسرا ،
وزرت آثار الحضارة الجليلة في عواصم اوربا ، فانفتحت نفسك لشعر
الطبيعة وسجدت مخيلتك لذكاء الامم الراقية ، او انك بقيت في بلدك
تطالع وتدرس حركة الزراعة والاسواق تحت ادارة ابيك او ولي امرك
فطبع فيك حب العمل والسعي وراء الرزق . وعلى كل فقد قضيت هذه
الايام بين ذويك ، فجددت نشاطك وقواك وادّخرت في المعيشة العائلية
حزماً جديداً وعزماً أكيداً

ما اعظم ما كان تأثيرك ايها التلميذ العزيز عندما نزلت ورقة التقويم
اليومي فوجدت مسطراً على الورقة التي تليها بحرف ضخم « اول اكتوبر »
وهو تاريخ العودة الى المدرسة

منذ شهرين استقبلك أهلك بقبلة اللقاء ، واليوم يستودعونك الله بقبلة الوداع . وليست هذه القبلة بأقل من الاولى معنى ورمزاً . فتحوا ذراعهم لضمك الى صدرهم بعد عشرة اشهر قضيتها بين المحابر والاوراق ، وهم يفتحونها الآن لوداعك بعد شهرين قضيتهما بالقرب منهم . يودعونك ولسان حالهم يقول .

« سر يا ولدي باسم الله مسراك ، واقض سنتك المدرسية جاداً منعكفاً على دروسك مطيعاً لرؤسائك محباً لرفقاتك ، فترد منهل المعارف وترشف كأس العلوم وتعود اليها اكل عقلاً واوسع فكراً واغزاداً واكثر علماً . ضع نصب عينيك مستقبلك فهو سيكون غداً ما تريده اليوم فتحصد آتياً ما تزرعه حاضراً . انت عماديتك وعصا شيخوخة اهلك ، انت محط آمالنا ووارث شرفنا وامنا وكل ما لنا وعليك ان لا تنسى انه لا منقذ للانسان ولا معين في هذا الاعصار الهائل الذي ثارت رياحه وعصفت عواصفه على المجتمع الانساني الا « الفضيلة والعلم » فاجعل الكتاب أليفك والجد حليفك لتكون رجلاً نافعاً لبلادك وعضواً عاملاً على ترقية أبناء جنسك »

هذا بعض ما تقوله لك ساعة الوداع قبلة ابيك الحنون « يامنتهي امله » وقبلة امك المحبوبة « يا نور عينها » ولن تزيد عليها شيئاً لان فيها احسن فصاحة وابلغ بيان بل نقول لك : لاتنس هذه النصائح التي املاها عليك قلب اعز الناس اليك ، بل اتخذها دليلاً ومرشداً لك فهي تشدد عزيمتك حين التهاون والجمول ، وتجدد املك ساعة اليأس والقنوط . . .